مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثامن والعشرون / محرم - ربيع الأول ١٤٣٠هـ ، يناير - مارس ٢٠٠٩م

٢٨

- إمارة المدينة المنورة في العهد العثماني الأول
- مخطوطات التاريخ في مكتبة عارف حكمت
- المقاصد من الأمثلة النبوية
- من المشكلات الصحية في بيئة المدينة المنورة . سرطان الجلد .

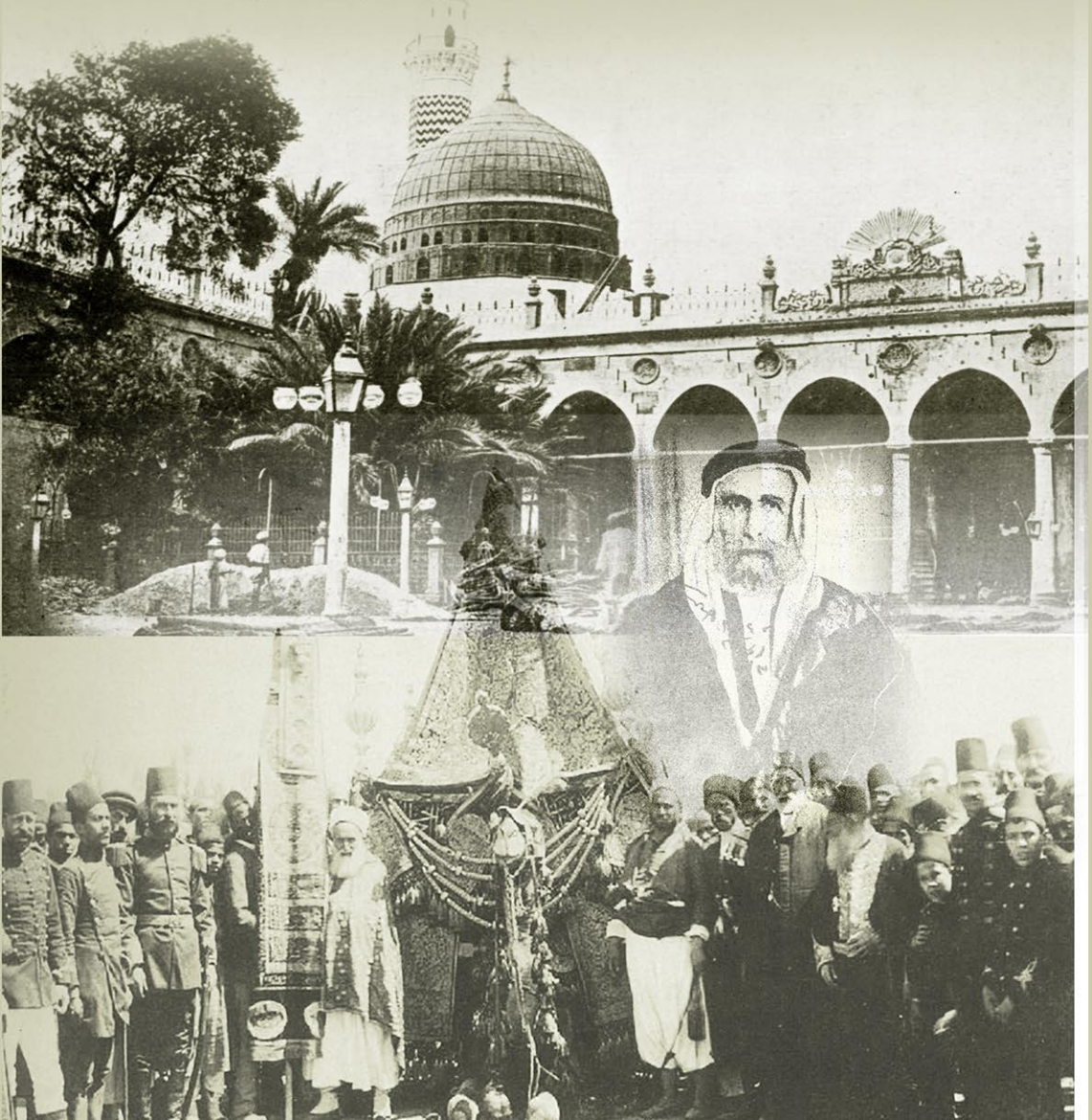

إمارة المدينة المنورة
في العهد العثماني الأول
٩٢٢- ١٢٢٠هـ

أ.د.إقبال بنت عبد العزيز عبد الله المطوع
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالهيئة
العامة للتعليم التطبيقي والتدريب - الكويت -

الحالة السياسية في المدينة المنورة

بدخول الحجاز تحت سلطة العثمانيين بدأت مرحلة جديدة في حياة المدينة المنورة، وهي مرحلة أثرت في حياتها الاجتماعية والسكانية والثقافية أكثر مما أثرت في حياتها السياسية، فقد كانت تابعة لإمارة مكة، وهذا ما أثر عليها وحدّ من نشاطها معظم العهد العثماني.

وعندما أعلن أبو نُمَي بن بركات الولاء للعثمانيين أعلنه عن منطقة الحجاز كلها، وسلم السلطان العثماني مفتاحاً اعتبر مفتاح الحرمين الشريفين، ولقب السلطان آنئذ(خاقان البر والبحر وخادم الحرمين الشريفين).[1]

---

(١) كلمة " خاقان " تركية الأصل، وتطلق على الملوك الأتراك في القرنين السادس والسابع من الميلاد، وأصل اللقب " قان قان "، أي " قان القان "، أو " قان القانات "، وقد دخل هذا اللقب في الإسلام، فأطلق على رؤساء الترك من المسلمين، ومن أقدم استعمالاته كتابته على النقود الإسلامية، أما في عصر ملوك المغول فقد صار لقب " خاقان "، أو " قان " يطلق على رئيس الأسرة المغولية صاحب السيادة العليا على كافة ولاة المغول في أنحاء العالم، بينما تلقب الولاة الفرعيون بلقب " خان "، ومن ثم دخل هذا اللقب مصر في عصر المماليك، فأطلق كلقب فخري على السلطان الأشرف قايتباي في نقش بتاريخ سنة ٨٨٥ هـ، في وكالة باب النصر، وكذلك أطلقت كلمة " الخاقاني " في نص بتاريخ سنة ٩٠١ هـ، في ضريح الأمير يعقوب شاه " ست نصره "، وإطلاق =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد أصدر السلطان سليم مرسوماً بتثبيت الشريف بركات أميراً على مكة وما تبعها، أي ما كان تحت سلطانه الفعلي، فأصبحت ولايته على المدينة المنورة جزءاً من إمارته بحكم مرسوم السلطان، وظل أمراؤها على ما كانوا عليه من الضعف والعجز عن التصرف، بل وشحت الموارد الاقتصادية، ومما يزيد الضعف هذا أن أمير مكة كان يرسل أحياناً بعض أقاربه ليكونوا نوابه في المدينة، وتكون لهم السلطة الفعلية في تصريف الأمور رغم وجود الأمير الحسيني العاجز عن فعل شيء، بل إن هذا الأمير معرض للعزل وتعيين شخص آخر من الأسرة الحسينية محله وبسهولة.

إن سلطة تصريف الأمور في المدينة المنورة تحولت من الأمير الحسيني وأصبحت موزعة بين شيخ الحرم ورئيس الحامية العسكرية والقضاة، ومن هنا غاب ذكر الأمراء الحسينيين، وغابت أسماؤهم عن كتب التاريخ، وابتعدوا عن الأحداث، وتحولت إمارتهم إلى منصب شرفي أخذ يفقد قيمته الاسمية شيئاً فشيئاً، مقابل ازدياد نفوذين مختلفين، نفوذ أمير مكة، وهو أمير الحجاز كله، والنفوذ التركي الجديد.[1]

لكن هذه العزلة السياسية أتاحت فرصة كبيرة للازدهار العلمي، فكان المسجد النبوي مليئاً بحلقات العلم والمتعلمين، وبلغت المدارس درجة عالية من النشاط، وظهر عدد كبير من العلماء والشعراء.

= هذا اللقب على سلاطين المماليك يتصل بادعائهم أحقية السيادة على العالم الإسلامي عربه وعجمه، وكان يلازم لقب " الخاقان " صفات أهمها " الأعظم "، و" العادل "، و" المعظم "،
انظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، الدار الفنية، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، ص ٢٧١، ٢٧٣.

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ط ٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، (٣٣٢/٢، ٣٤٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولعبت التوظيفات الرسمية دوراً مهماً في إعادة تشكيل المجتمع المدني، وكان القادمون من أولي المناصب الكبيرة يحتلون مكانة رفيعة في المدينة المنورة، وخاصة شيخ الحرم الذي يعين من الآستانة مباشرة، وكانت الدولة العثمانية تنظر إلى هذه الوظيفة على أنها من الوظائف المهمة؛ لمكانتها الدينية، وكان ينتقى لهذا المنصب شخصية ذات مكانة مرموقة تتصف بالعلم والتقوى، وقبل منتصف القرن الحادي عشر الهجري ارتفعت مكانة شيخ الحرم ليصبح مركزاً من مراكز القوة والنفوذ، ففي عام ١١٤٥هـ عين الشيخ بشير آغا الحبشي[1] في مشيخة الحرم النبوي، وفوضت إليه الدولة العلية جميع أحكام السياسة بالمدينة المنورة، ولا يعني هذا استقلالية المدينة المنورة سياسياً، بل ظلت تابعة لإمارة مكة، وكان الأمير آنئذ الشريف زيد بن محسن الذي حكم من (١٠٤١هـ - ١٠٧٧هـ) إنما يعني إيجاد نفوذ رسمي لشيخ الحرم، فيؤخذ برأيه - غالباً - في تعيين

(١) بشير آغا الحبشي، أحد الخدم في قصر السلطان العثماني الذين ارتقوا إلى المناصب العليا، حيث صار مستشار الدولة وجليس السلطان، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له - وهي شحيحة - سوى اسمه الأول: بشير، أما كلمة آغا فلقب يعني " السيد " ومنصب في الجهة التي يضاف إليها، فآغا الحرم، هو رئيس موظفي الحرم، و آغا دارالسعادة هو رئيس موظفيها، وأصل بشير آغا من الحبشة، جُلب إلى إستانبول للعمل في القصر، وخاصة في القسم النسائي " الحرملك "، ومن ثم ترقى في سلم الخدمة، ثم عزل وغادر إلى مصر، إلى أن تحسن وضعه عند السلطان، وعين بناءً على طلبه شيخاً للحرم النبوي، ولما تولى السلطان محمود الأول العرش العثماني سنة ١١٤٣ هـ، قربه منه أيضاً، وجعله من مستشاريه، وأسند إليه نظارة الحرمين الشريفين، واستمر في منصبه إلى سنة ١١٥٩ هـ، وأثقله المرض، ثم توفي ودفن بجانب قبر أبي أيوب الأنصاري، له من الأوقاف والخيرات والحسنات الكثيرة. تحفة المحبين والأحباب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، عبد الرحمن الأنصاري، تحقيق: محمد العروسي المطوي، تونس، المكتبة العتيقة، ص ٦٢، ٦٣، مخطوطات مكتبة بشير آغا بالمدينة المنورة، إشراف عبد الباسط بدر، مصطفى عمار منلا، المملكة العربية السعودية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، ص س، ق، أحمد بن إبراهيم الكريدي، خميلة الكبراء في تاريخ الأغوات، ترجمة: أحمد بوشناق، تحقيق: عبد القدوس الأنصاري، جدة، مكتبة مجلة المنهل، ١٤١٢ هـ، ص ٢١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قاضي المدينة وفقيهها، وتقبل شكواه فيهم، ويعزلون إذا طلب عزلهم، وقد تطور الأمر بعد ذلك بحيث أسند إليه تعيين بعض القادة العسكريين في الفرق المقيمة في المدينة المنورة.

وبالرغم من تبعية المدينة المنورة لإمارة مكة تبعية سياسية كاملة؛ فإن الأحداث أحياناً تخرج عن يد السلطة، ففي سنة ١٠٤١هـ نشب صراع على الإمارة بين أبناء الأسرة الحاكمة في مكة (آل الحسنيين) وكان الأمير وقتئذ محمد بن عبد الله بن حسن بن أبي نُمي يشاركه الشريف زيد بن محسن، وقد نافسهما على الإمارة الشريف نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نُمي - وهوابن عمهما – واستعان بعدد من الجنود الأتراك الذين أرسلوا إلى اليمن في ذلك الوقت، ففروا من الخدمة، ونزلوا في القنفذة، فاتصل بهم الشريف نامي، وأقنعهم بمساعدته في الهجوم على مكة، فأعانوه، وزحف بهم إلى مكة، وحدثت معركة بينهم وبين الشريف محمد بن عبد الله، وزيد بن محسن أميري مكة، وقتل محمد بن عبد الله، وهرب الشريف زيد بن محسن إلى المدينة، فدخل الشريف نامي والجنود الأتراك مكة وتولى إمارتها، ووجد الشريف زيد بن محسن في المدينة المنورة الأمن والمساعدة من أبناء عمومته، فأمن مطاردة رجال الشريف نامي، وما أن استقر به المقام حتى أخذ يخطط لاستعادة الإمارة من الشريف نامي والقضاء على قوته، ولكن أبناء عمومته لم يكونوا راغبين في خوض حرب ضد الشريف نامي والجنود الأتراك، ولم يكونوا متهيئين، لهذه الأسباب حاول الشريف زيد مراسلة والي مصر الذي يمثل الدولة العثمانية عن طريق رجل من أبناء عمومته المدنيين وهو علي بن

هيزع[١] ليشرح له الأوضاع ويستدر عطف الوالي، فحصل ما أراد، وكتب الوالي إلى مقر الخلافة يستأذنها في مساعدته ضد الشريف نامي، وكانت رسالة الشريف زيد قد سبقت إلى الآستانة، فصدرت موافقة الآستانة على إرسال قوة عسكرية لمساعدة الشريف زيد وتثبيته في الإمارة، وجاءت مع الموافقة خلعة سلطانية تؤكد مباركة دار الخلافة لإمارته، فجهز والي مصر حملة قوامها ثلاثة آلاف جندي، وأرسلها إلى ينبع وأرسل مع علي بن هزاع وفداً برئاسة محمد أرض رومي وعدد من خواصه يحملون الخلعة السلطانية والخطابات المؤيدة، فجاءته إلى المدينة، واحتفى بها الشريف زيد مع أقاربه، وذهب إلى المسجد النبوي ولبس الخلعة السلطانية في الروضة الشريفة تيمناً وتفاؤلاً بالنصر، ومن ثَمَّ ذهب إلى منطقة الجموم سائراً إلى مكة، فلما علم الشريف نامي بالخبر انسحب برجاله شرقاً، فأصبحت مكة دون أمير ولا حامية فيها، فأسرع الشريف زيد لتسلم مقاليد الإمارة بمكة المكرمة، وذلك في صباح السادس من ذي الحجة عام ١٠٤١هـ، ولم ينس الشريف زيد لأهل المدينة فضلهم ووقوفهم إلى جانبه، فأرسل بعض الأموال والقمح والثياب إليهم، وزاد من حصتها مما يرد من مصر إلى الحرمين الشريفين[٢].

وظلت العلاقات بين الشريف زيد وأهل المدينة حسنة مدة طويلة، ثم

(١) انظر: سمط النجوم العوالي (٤/٤٤٥)، تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢٣٧.

(٢) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٢/٣٤٦، ٣٥٠)، سمط النجوم العوالي (٤/٤٤٣ وما بعدها)، السنجاري، منائح الكرم (٤/١٢٣، ١٤٠)، مسعود محمد آل زيد، تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد ١٠٤١هـ، ١٢٩٩هـ/١٦٣١ – ١٨٨١م، ص ٧٥، ٨٥، جيرالد دي غوري، حكام مكة، ترجمة محمد شهاب، ص ١٥٤، ١٥٦، أحمد السباعي، تأريخ مكة، ص ٣٦٧، ٣٧١، ابن ظهيرة، الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف، ملحق شفاء الغرام (٣٦٤، ٣٦٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اضطربت وكادت تتحول إلى مصادمة وحرب، لولا رحمة الله وحسن تدبير الشريف زيد، حيث خرج من تلك الحادثة، وقد ازداد الأمن والطمأنينة في المدينة المنورة، وظل اسم الشريف زيد يفزعهم طول مدة إمارته إلى أن توفي ١٠٧٧هـ، وعندما تولى إمرة مكة المكرمة ابنه الشريف سعد، شهدت المدينة أحداثاً غير طبيعية فقد ضيق على أهلها، وأخذ نائبه فيها الناس بشيء من الشدة لم يعهدوها من أبيه من قبل، وتدخل في الوظائف والتعيينات التي كانت متروكة لشيخ الحرم وقادة العسكر، ولم يرسل ما كان أبوه يرسله من الصدقات والمعونات لأهل المدينة، فتضايق أهل المدينة، وأرسلوا العرائض إلى مصر والآستانة يشكون من سوء المعاملة، وتم إرسال رسول من قبلهم حتى إن الشريف سعد تراجع عن شدته معهم، لكن تلك الأزمة لم تنته بعد، وحدثت صراعات بين الشريف سعد وحسن باشا، إلى أن تم عزل الأخير وانتصر الشريف سعد وعاد إلى إمارته[1]، لكن هذه الأحداث قد أثرت تأثيراً كبيراً على مكانة الأمير، وما لبثت أن عصفت بإمارته، فقد بذل خصومه جهوداً كبيرة لإقناع المسؤولين في دار الخلافة بضرورة عزله، وقبل أن ينتهي عام ١٠٨٣هـ صدر الأمر بعزل الشريف سعد وتولية الشريف بركات بن محمد، حيث حاول الشريف بركات استرضاء أهل المدينة والإحسان إليهم لتعزيز مكانته بينهم وفي دار الخلافة، وقد عين نائباً له لإدارة شؤونها وأطلق عليه لقب وزير، وهذه أول مرة يذكر فيها المؤرخون وجود وزير لأمير مكة في المدينة يدير شؤونها.

لقد شهد القرن الحادي عشر الهجري صراعاً كبيراً بين شرفاء مكة

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٣٥١/٢، ٣٦٠)، سمط النجوم العوالي (٤٧٩/٤ وما بعدها)، عبد الله محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، ص ١١٤، ١٢٧، محمد باعلوي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، ص ٣٤٠، السنجاري، منائح الكرم (١٦٧/٤، ١٨٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على إمارتها انعكس على العلاقة السياسية بين مكة والمدينة، فقرر الخليفة العثماني محمد الرابع[١] إنهاء هذا الصراع بإبعاد المتصارعين جميعهم عن الإمارة وتولية الشريف أحمد بن زيد[٢] الذي اهتم بتوطيد الأمن وكسر شوكة القبائل العاصية التي تهدد القوافل والمدينة المنورة، وفي مطلع القرن الثاني عشر رجعت الصراعات على الإمارة عندما توفي أميرها في أواخر عام ١٠٩٩هـ، ثم انتهوا إلى تولية الشريف أحمد بن غالب[٣]، غير أنه ما لبث أن حدثت نزاعات حتى إن المدينة المنورة تأثرت بتلك الاضطرابات اقتصادياً، أما سياسياً فلم يشارك أحد من أهلها في تلك الصراعات حتى لا يحدث ردة فعل لعزل شريف وتولى آخر، وعندما تولي الشريف سعد[٤] إمارة مكة للمرة الثالثة عين أخاه محسن بن زيد[٢] نائباً له في المدينة المنورة، فوصلها في مطلع عام ١١٠٧هـ وتولى إدارة الأمور عن أخيه، وأطلق عليه لقب

(١) محمد الرابع، ابن السلطان إبراهيم، المولود في ٢٩ رمضان سنة ١٠٥١ هـ، أول يناير ١٦٤٢ م، تولى الخلافة بعد عزل أبيه، ولم يتم السابعة من عمره، وقد اعترض السباه على توليته الحكم، فخشي رؤساء العصابة التي عزلت السلطان إبراهيم من إرجاعه تارة أخرى فقرروا قتله، فساروا إلى السراي، وقتلوه خنقاً، ولصغر سن محمد الرابع حصلت فوضى، وصارت الجنود لا ترحم صغيراً ولا توقر كبيراً، وسعوا في الأرض فساداً، واستمر في الحكم أربعين سنة وخمسة أشهر، إلى أن جاء يوم عزله من قبل الوزير الثاني القائم مقام قرة مصطفى مع العلماء الذين وافقوه على ذلك، وبقي في العزلة إلى أن توفي سنة ١١٠٤ هـ/١٦٩٢ م، بالغاً من العمر ٥٣ سنة. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار النفائس، ص ٣٠٤.

(٢) سمط النجوم العوالي، (٥٦١/٤، ٥٧٣)، إفادة الأنام (٤٤٩/٣، ٤٥٥)، أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٩٤، و١٠٧، الطبري، إتحاف فضلاء الزمن (١٢٩/٢، ١٣٥).

(٣) إفادة الأنام (٤٤١/٣، ٤٤٢ و ٤٥٩)، خلاصة الكلام، ص ٩٤، إتحاف فضلاء الزمن (١٤٤/٢، ١٥٧)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر (٤٤٦/١، ٤٤٧)، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام ص ١٦٦.

(٤) تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢٤٣، ٢٤٤، تأريخ مكة، ص ٣٧٤، و٣٩٨، ٣٩٩، الإشراف على تاريخ الأشراف، ص ٣٩٥، ٤١٢، الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف، ملحق شفاء الغرام (٢٦٦/٢، ٢٦٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأمير، وكان هذا اللقب قد غاب عن المدينة المنورة، وحل محله لقب الوزير منذ أن عين الشريف بركات أحد وزرائه في إدارتها.[١]

ولما تولى إمارة الحجاز الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عام ١١١٦هـ[٢] بعد سلسلة من الصراعات، وثبت بمرسوم من الخليفة العثماني في السادس من شعبان ١١١٧هـ، أخذ يرتب شؤون إمارته وألغى منصب الأمير في المدينة، وأعاد مسمى الوزير، وعين وزيراً للمدينة المنورة السيد أحمد بن محمد بن دده[٣]، لكنه ظلم وتعدى الحدود فعزل، وإزاء هذه الأحداث المضطربة تجمعت قوى من أعيان أهالي المدينة المنورة وكونوا جماعة يطلق عليها " جماعة العهد " يمثل هذا الجمع ردة الفعل الطبيعية لتردي الأوضاع والفساد الإداري، كما أنه يمثل درجة عالية من الوعي في أهل المدينة، ومن الإحساس بضرورة تدخلهم في الأحوال التي يصنعها الآخرون، لكن تلك الجماعة أجهضت مع أول مواجهة لها مع الأحداث، وخاصة عند فتنة الأغوات[٤]، وكان نهايتها قتل المنتسبين لها، وكان منهم

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٢/٣٧٣، ٣٧٦)، سمط النجوم العوالي، (٤/٥٤٦، ٥٤٧)، خلاصة الكلام، ص ٨٠، ٨١، عاتق البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، ص ٣٨١، ٣٨٥، منائح الكرم (٥/٥٧، ٧٦).

(٢) إفادة الأنام (٣/٥١٧، ٥٢٢) و(٣/٥٦١، ٥٦٦)، خلاصة الكلام، ص ١٣٧، ١٦٦، منائح الكرم (٥/٣٢٣ وما بعدها)، أحمد السباعي، تأريخ مكة ص ٤٠٣، ٤٠٦.

(٣) تولى وزارة المدينة المنورة، وحكم وظلم وتعدى الحدود، فمن جملة ذلك أنه قتل رجلين صالحين: أحدهما سندي، والآخر صالح العمودي اليماني لأجل الدنيا ظلماً وعدواناً، فأصدر الحاكم الشرعي حكماً بقتله قصاصاً بالسر، وذلك سنة ١١٢٠ هـ. عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأحباب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) حدثت فتنة الأغوات في عهد الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، وذلك أن رجلاً من توابع الأغوات أراد الانخراط في سلك الجندية فرفض رجال الحامية، فثارت الفتنة وتحصن الأغوات بالمسجد الحرام، فأراد قاضي المدينة الصلح لكنهم أبوا الحضور للمجلس، فاعتبرهم القاضي عصاة وقاتلهم، ثم أرسلهم إلى شريف مكة مبارك بن أحمد بن زيد، فثبتت إدانتهم، فبعث للخليفة، فجاءت الموافقة بعقوبتهم ونفي الآخرين. تاريخ أشراف الحجاز، ص ٤٧، ٥٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عبد الكريم البرزنجي[١] حيث سيق إلى جدة وشنق هناك، قرب سوق جدة، وطرحت جثته آخر النهار، وسميت الحارة التي شنق فيها بحارة المظلوم[٢] نسبة إليه، وما زال هذا الاسم قائماً حتى اليوم.

وفي سنة ١١٤٨هـ كثرت الفتن وازدات بين العساكر، وتركت ضغائن في النفوس، واصطدموا في عام ١١٥٤هـ ثانية مع عساكر القلعة، فأحدثوا فتنة كبيرة تسببت في قتل بعض العساكر والاعتداء على دار المفتي في المدينة المنورة عبد الله بن أسعد أفندي[٣]، ولكن لم يتدخل نائب الأمير ولا الأمير الشريف مسعود بن سعيد في هذا الحدث الكبير، وهذا إنما يدل على غياب السلطة الفعلية القادرة على ضبط الأمن ومعاقبة المسيء.[٤]

وتوالت تلك الأحداث إلى أن عينت الدولة العثمانية أحمد شاهين باشا[٥]

---

(١) نسبة إلى بيت البرزنجي، وبرزنجة بلدة مشهورة في بلاد الأكراد، وكان السيد عبد الكريم خطيباً في المدينة المنورة سنة ١١١١ هـ، توفي شهيداً مقتولاً صَبْراً ببندر جدة، قتله باكير باشا بموجب فرمان ورد من الدولة العلية بسبب فتنة العهد سنة ١١٣٨ هـ. تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص ٨٧، ٨٨، تأريخ مكة، ص ٤١٧، سمط النجوم العوالي (٥٧٧/٤).

(٢) سميت حارة المظلوم، نسبة إلى عبد الكريم البرزنجي، وتقع في سوق جدة – جدة القديمة – وهي موجودة إلى الآن.

(٣) والده السيد أسعد أفندي مفتي المدينة المنورة، قدم المدينة المنورة للعبادة وطاعة الله تعالى، وبرع في العلوم حتى فاق أقرانه، وكان من أولاده: السيد عبد الله، ومولده في حدود سنة ١٠٩٠ هـ، وقد نشأ نشأة صالحة، وجد واجتهد في طلب العلوم، وكان يدرس بالمسجد النبوي، وامتحن كثيراً من الأشرار، وتولى منصب الإفتاء أيضاً في المدينة المنورة، وتوفي سنة ١١٥٤ هـ، في المدينة المنورة عُقيب الحج. تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص ٣٥، ٣٧، مؤلف مجهول، تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: محمد التونجي، جدة، دار الشروق، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، ص ٤٢، إتحاف فضلاء الزمن (٢٠٤/٢).

(٤) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص ٣٧، التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٣٨٤/٢، ٣٩٠)، تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ٢٨٨، تاريخ أشراف الحجاز، ص ٤٢، ٥٢.

(٥) أحمد شاهين باشا، ذكره عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص ٣٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والياً على المدينة سنة ١١٨٣هـ، الذي استطاع أن يوقف الصراع بين العساكر ويوقف تعدياتهم المتكررة، وضبط الأمن، إلا أنه لم تطل مدته، فقد نقل إلى مكان آخر وخلفه عثمان باشا، فتوفي بعد مدة وجيزة، فعهدت الدولة إلى (كتخدا)[١] القلعة أن يقوم مقام الوالي، فعاد الاضطراب من جديد، ولم تقتصر الفتن هذه المرة على الصدام بين الفرق العسكرية، بل حدثت فتن داخل الفرقة الواحدة، الأمر الذي يظهر ضعف الانضباط وعدم وجود ولي أمر حازم، ومرت السنوات على هذه الأوضاع المتردية إلى عام ١١٩٤هـ بعد القتال الدامي بين الشريف سرور وعساكر القلعة في المدينة المنورة[٢].

ورب ضارة نافعة، فبعد وقت ليس بالبعيد التأم شتات أهل المدينة، وجمعت كلمتهم، وكادت أن تنتهي الخلافات والصراعات بين القادة العسكريين وكبار الموظفين، وإن حدثت بعض الزوبعات الصغيرة؛ إلا أنها لا تمثل ما قادهم إليه الشريف سرور من نزاعات دامية، ودخلت المدينة في بداية القرن الثالث عشر بهدوء وأمن، بالرغم من النزاع الذي كان بين الشريف غالب وآل سعود حيث إن الشريف غالب تشدد أكثر من غيره من الأشراف بمساعدة الدولة العثمانية ضد الدولة السعودية الأولى خاصة في منعهم من إقامة فرائض الحج.[٣]

أما المدينة فقد كانت بمنأى عن هذا الصراع، غير أنها بدأت تتأثر

---

(١) كتخدا: هو الوكيل عن الباشا، ويعينه السلطان برتبة صنجق ويتغير بتغير الباشوات، وقد حرفه الاستعمال إلى " كخيا "، موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، أو السلطان عبد الحميد، ص ٤٥٩.

(٢) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٣٩٥/٢، ٣٩٧)، أحمد السباعي، تأريخ مكة، ص ٤٤٤، ٤٤٧.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (٢٥٦/١، ٢٦٣)، عبد الفتاح حسين رواة المكي، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص ١٩٣، ١٩٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بهذا الصراع في بداية العقد الثاني من القرن الثالث عشر، فقد أصدر الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود أوامره إلى قائده أمير مدينة الدواسر ربيع بن زيد أن يقوم ببعض العمليات العسكرية في الحجاز ضد الشريف غالب والقبائل التي تناصره، وكان تأثير تلك الأحداث على المدينة اقتصادياً أكثر منه حربياً، وذلك من خلال قوافل التجارة القادمة من مكة مما أدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة.[١]

وإثر هذه النزاعات وبعد أن استولى الفرنسيون على مصر في عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بقيادة نابليون بونابرت[٢]، خافت الدولة العثمانية على نفوذها في الحرمين الشريفين، فسار الشريف غالب وأتباعه ببناء سور لتحصين المدينة المنورة، غير أن الدعوة الإصلاحية أخذت بالانتشار في عوالي المدينة، وشرع رجالها في بناء حصن طيني كبير على مشارفها بأمر من الأمير عبد العزيز بن محمد نفسه، ولما تم البناء جعلوه مقراً للدعوة والحركة ونشر العقيدة الصحيحة بين أهالي قباء وضواحي المدينة الأخرى، خاصة أن المدينة المنورة كانت بحاجة لمثل هذه الدعوة بعد أن انتشرت مظاهر الشرك والبدع الكثيرة[٣].

---

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٢/٣٩٥، ٣٩٧).

(٢) ولد نابليون بونابرت في مدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ م، كان متفوقاً في كل المجالات، ميالاً إلى دراسة العلوم السياسية، وفي سنة ١٧٨٧ م، تخرج من المدرسة الحربية برتبة ملازم ثان، وانتظم في سلك فرقة مدفعي أمير حامية غرنيوبل، وفي فرنسا انضم إلى جماعة اليعاقبة المتطرفة الذين طالب كثير منهم بجعل فرنسا جمهورية ديمقراطية، خاض معارك عديدة حقق فيها انتصارات كبيرة، وبالرغم من ذلك هزم ونفي عام ١٨١٤م إلى جزيرة سانت هيلانة الموحشة، وتوفي بها سنة ١٨٢١ م، نتيجة إصابته بالسرطان، ودفن بها إلا أن جثمانه أُعيد إلى باريس، ودفن في كنيسة القبة. إلياس طنوس الحويك، تاريخ نابليون الأول، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨١ م، ص ١٩، ٢٧، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م، (٢٥/ ٩، ١١).

(٣) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٢/٤٢٩، ٤٣٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي عام ١٢١٨هـ اغتيل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود في الدرعية[١]. وتولى الإمارة ابنه سعود بن عبد العزيز[٢]، فواصل جهود أبيه ووجه أتباعه لتكثيف جهودهم، فعاد القتال بينهم وبين الشريف غالب، واشتد الحصار على المدينة المنورة، وتحولت القوافل التجارية عنها، فارتفعت الأسعار ارتفاعاً شديداً، وإثر تلك الأحداث اجتمع أعيان المدينة وقادة الفرق وشيخ الحرم والقضاة، وبعد مشاورات استقر رأيهم على مكاتبة الأمير سعود بن عبد العزيز مباشرة وتجاوز المحاصرين وطلب الأمان للمدينة وأهلها، وخرج وفد صغير من المدينة المنورة إلى الدرعية بالأمان، وقابلهم الأمير سعود، ورحب بهم وأكرمهم، وقبل مبايعتهم وإعطاءهم الأمان، واشترط عليهم تطهير المدينة المنورة من مظاهر الشرك

(١) عبد الله السعود، عبد العزيز البسيوني وآخرون، مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، إشراف: سعد الراشد ص ٣٦، ٣٧، وكالة وزارة المعارف للآثار والمتاحف، الرياض ١٤٢٠ هـ، محمد بن عمر الظاهري، الدرعية بين الاشتقاق اللغوي والإفادة التاريخية والأدبية، مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، الرياض، السنة السادسة، العددان الحادي والعشرون والثاني والعشرون، ربيع الأول، جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ، مايو، أغسطس ٢٠٠٣ م، ص ٧، ٣٩.

(٢) ولد الإمام سعود بن عبد العزيز بالدرعية عام ١١٦١ هـ/١٧٤٨ م، وبويع بولاية العهد في عام ١٢٠٢ هـ/ ١٨٠٣م، وقام بقيادة جيوش الدولة السعودية خلال العقود الثلاثة الأخيرة في عهد أبيه، وفي عهده امتد نفوذ الدولة السعودية إلى إمارات ساحل الخليج العربي وعمان، حيث تبعت قبائلها للدولة السعودية، كما امتد نفوذها إلى الحجاز وتهامة عسير وأجزاء من اليمن وشمالي الجزيرة العربية، وأدت حملاته المتكررة على قبائل جنوبي غرب العراق، وجنوبي بلاد الشام بين عامي ١٢٠٣ هـ - ١٢٢٦ هـ/ ١٧٨٩ - ١٨١١ م، إلى تبعية معظم قبائل تلك المناطق للدولة السعودية وقد أولى الإمام سعود الحرمين الشريفين اهتماماً خاصاً عندما مدّ نفوذ الدولة السعودية إلى مكة والمدينة في عام ١٢٢٠ هـ، ١٨٠٥ م، من حيث تنظيم شؤونهما وتأمين طرق الحج، واتساع رقعة الدولة السعودية الأولى، ولذا أُطلق عليه سعود الكبير، توفي عام ١٢٢٩ هـ، ١٨١٤ م، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م، ص ٧٠، ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (٢٦٥/١، ٢٨٢ وما بعدها)، سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ط ٢، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م، ص ١١، ١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والبدع الضالة ولاسيما القباب على القبور، فقبلوا بهذا الشرط، وتم تنفيذ هذا الاتفاق في ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ، وفتحت المدينة أبوابها، وخرج شيخ الحرم والقضاة والأعيان لاستقبال مشايخ آل مفيات ومن معهم من أتباع الحركة الإصلاحية، وكان لقاء السلم والمصالحة.

ومن هنا بدأ التغيير في المدينة المنورة، فقد اختفت مظاهر التسلط والسيادة التي كانت بارزة في قادة الفرق العسكرية وبعض جنودهم، وأزيلت القباب من قبور البقيع، واختفت مظاهر الدروشة، كما اختفت حفلات الذكر العلنية والموالد وغيرها من البدع التي جاءت مع بعض الوافدين إلى المدينة المنورة، وصارت جزءاً من عقائدهم وتقاليدهم.

وامتدت آثار هذه التغييرات للعالم الخارجي في موسم الحج خاصة عندما وصل المحمل الشامي وأراد دخول المدينة المنورة، فسمح له بالدخول شريطة ترك البدع المنافية لشعائر الحج وأولها ضرب الطبول ونفخ المزامير[1].

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٢/٤٣١، ٤٣٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة